

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ



هذا الرجل رب المنزل، والرب المالك، والرب السيد، والرب المصلح والمدير، والرب المعبود، **والعالمون**: جمع العالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى، **والعالم** عبارة عن عقل، وهو أربع أمم: الإنس، والجن، والملائكة، والشياطين.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ولما كان في اتصافه سبحانه وتعالى برب العالمين ترهيب قرنه بالرحمن الرحيم، لما تضمن من الترغيب، ليجمع في صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه فيكون أعون على طاعته.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بفعله وذاته **الدين**: يوم الجزاء من الرب سبحانه لعباده، عن قتادة قال:

يوم الدين يوم يدين الله العباد بأعمالهم؛ أي: يجازيهم بها.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ نخضع بالعبادة ونخلص بالعبادة، لا نعبد غيرك ولا نستعينه، **والعبادة**:

أقصى غايات الخضوع والتذلل، **وفي الشرع**: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف، **وقدّمت العبادة على**

الاستعانة لكون الأولى وسيلة إلى الثانية، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يعني: إياك نوحّد ونخاف يا ربنا لا غيرك، وإياك نستعين على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ **الهداية نوعان**:

هداية توفيق: وهي خاصة بالله تعالى، ومنها قوله **هَدَانَا**:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾،

والثانية: **هداية دلالة وإرشاد**: وهي للأنبياء وأتباعهم من العلماء والدعاة، ومنها قوله **هَدَانَا**:

﴿وَأَنْتَ تَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ والآية تدل على النوعين لأن الله هو الموفق للخير، وهو الذي أرسل الرسل ليدلونا عليه، **والصراط المستقيم**

لغة: الطريق الذي لا اعوجاج فيه، والمراد: طريق الإسلام.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ هم المذكورون في قوله **هَدَانَا**:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ **هم اليهود**:

وذلك لأنهم علموا الحق فتركوه وحادوا عنه على علم، فاستحقوا غضب الله، أخرج أحمد وابن ماجه عن النبي **عليه السلام** قال: ﴿ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم

على السلام والتأمين . ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ هم النصارى:

لأن النصارى حادوا عن الحق جهلاً؛ فكانوا على ضلال مبين في شأن عيسى **عليه السلام**، ومعنى آمين: اللهم استجب لنا.

سميت هذه السورة "فاتحة الكتاب" لكون القرآن أفتتح بها،

إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف، وأول ما يتلو

التالي من الكتاب العزيز، وهي ليست أول ما نزل من القرآن،

قيل: هي مكية، وقيل: مدنية، وتسمى فاتحة الكتاب،

وتسمى أم الكتاب، والسبع المثاني، وسورة الحمد، وسورة

الصلاة، والواقية، وقد ورد في فضلها أحاديث، منها أن

رسول الله **عليه السلام** قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ

الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ البخاري وأحمد.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ليست بالبسملة آية في بداية

جميع سور القرآن؛ بل هي آية فاصلة بين كل سورتين،

ويستحب قراءتها إلا في سورة التوبة فيكره **﴿أَنَّهُ﴾** علم لم

يطلق على غيره تعالى، وأصله: "الإله"، وكان قبل الحذف

يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة، والرحمن

أشد مبالغة من الرحيم، والرحمن لم يستعمل لغير الله **عليه السلام**.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الحمد: هو الثناء باللسان على الجميل

الاختياري، والحمد يكون باللسان فقط، أما الشكر فيكون

باللسان والقلب والأعضاء، ويكون الشكر مقابل نعمة، أما

الحمد فيكون لكمال المحمود ولو في غير مقابلة نعمة، والله

تعالى له الحمد والشكر **﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** الرب: اسم

من أسماء الله تعالى ولا يقال في غيره إلا مضافاً، كقولك:

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

﴿١﴾ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا** أي: ثراجك الكلام في شأنه **﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾** عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفي عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله أكل شبابي، وثرت له بطني، حتى إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات **﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا﴾** وهو أوس بن الصامت أحد الأنصار **﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾** أي: ما تتراجعان به من الكلام.

﴿٢﴾ **الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ نِسَائِهِمْ** معنى الظهار أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ولا خلاف في كون هذا ظهاراً **﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾** أي: ما نساؤهم بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وفي هذا توبيخ للمظاهرين وتبيكت لهم **﴿إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ﴾** أي: ليست أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم **﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾** أي: وإن المظاهرين ليقولون بقولهم هذا منكرًا من القول، أي: فظلياً ينكره الشرع، وهو تشبيهه زوجته التي يظوها بأمه، وفي هذا أشد الإهانة لأمه، والزور: الكذب **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾** أي: بليغ العفو والمغفرة، إذ جعل الكفارة عليهم مخرصة لهم عن هذا المنكر.

﴿٣﴾ **وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا** يعودون لما كانوا عليه من إرادة الجماع **﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾** أي: فعليهم تحرير رقبة، أي: أمة أو عبد مملوك، من أجل ما قالوا **﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسَا﴾** المراد بالتماس: الجماع، فلا يجوز للمظاهر الوطء حتى يكفر **﴿ذَلِكَ﴾** الحكم المذكور **﴿ثَوَعُظُونَ بِهِ﴾** أي: تؤمرون به، أو تزجرون به عن ارتكاب الظهار.

﴿٤﴾ **فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا** أي: فمن لم يجد الرقبة في ملكه، ولا تمكن من قيمتها، أو لم يجد رقبة يشتريها فعليه صيام شهرين متتابعين متوالين لا يفطر فيهما، فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر، فلو جامعها ليلاً أو نهاراً عمداً استأنف **﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ﴾** يعني: صيام شهرين متتابعين **﴿فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾** لكل مسكين نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحوها، وله أن يطعمهم طعاماً جاهزاً

سُورَةُ الْحَجَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّدُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ نَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقد آنرنا آية ينبت وللكافرين عذابٌ مهينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ مَا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

حتى يشعوا، أو يدفع إليهم ما يشعهم **﴿ذَلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾** أي: حكمنا بذلك لتصدقوا أن الله أمر به وشرعه، وتقفوا عند حدود الشرع ولا تتعدوها، ولا تعودوا إلى الظهار الذي هو منكر من القول وزوراً **﴿وتلك﴾** الأحكام المذكورة، **﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾** فلا تجاوزوا حدوده التي حدّها لكم، فإنه قد بين لكم أن الظهار معصية، وأن كفارته المذكورة توجب العفو والمغفرة **﴿وللكافرين﴾** الذين لا يقفون عند حدود الله **﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** وهو عذاب جهنم.

﴿٥﴾ **إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** المحادة: المشاقة والمعاودة والمخالفة. **﴿كُنُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** أي: أدلوا وأخروا. ﴿٦﴾ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا** أي: مجتمعين في حالة واحدة لا يبقى منهم أحد لم يبعث **﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾** في الدنيا من الأعمال القبيحة، لتكميل الحجة عليهم **﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾** ولم يغب عنه شيء، **﴿وسوء﴾** هم ولم يحفظوه، فوجدوه حاضراً مكتوباً في صحائفهم **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** مطلع وناظر.



ذلك، كالكذب والظلم **﴿وَالْعُدُونَ﴾** ما يكون فيه عدوان على المؤمنين **﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾** مخالفته **﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾** . المراد بها: اليهود، كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك، يريدون السلام ظاهراً، وهم يعنون الموت باطناً، فيقول النبي ﷺ: "وعليكم" **﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾** أي: فيما بينهم **﴿لَوْلَا يَعِدُ بَنَاءُ اللَّهِ بِمَا نَقُولُ﴾** يقولون: لو كان محمد نبياً لعذبنا الله بما يتضمنه قولنا من الاستخفاف به، وقيل: المعنى لو كان نبياً لاستجيب له فينا، حيث يقول: عليكم، ولوقع علينا الموت عند ذلك **﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾** أي: يكفيهم عذابها عن الموت الحاضر **﴿يَصَلُّونَهَا﴾** يدخلونها **﴿فَيْئَسَ الْمُصِيرُ﴾** المرجع، وهو جهنم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ كما يفعله اليهود والمنافقون **﴿وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى﴾** أي: بالطاعة وترك المعصية **﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾** فيجزئكم بأعمالكم.

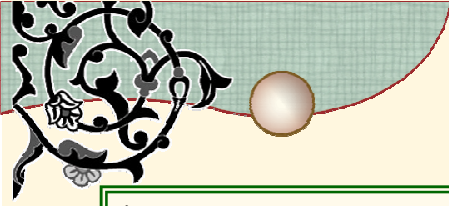
﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ يعني: بالإثم والعدوان ومعصية الرسول **﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾** لا من غيره، أي: من تزينه وتسويله **﴿لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** أي: لأجل أن يوقعهم في الحزن بما يحصل لهم من التوهم أنها في مكيدة يكادون بها **﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾** أي: وليس الشيطان، أو التناجي الذي يزينه الشيطان، بضار المؤمنين شيئاً من الضرر **﴿إِلَّا بِالْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ﴾** أي: بمشيئته **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** أي: يكون أمرهم إليه، ويفوضونه في جميع شؤونهم، ويستعيذون بالله من الشيطان، ولا يبالون بما يزينه من النجوى، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه" **﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾** أمرهم الله سبحانه بحسن الأدب بعضهم مع بعض بالتوسعة في المجلس وعدم التضايق فيه، قال قتادة ومجاهد: كانوا يتنافسون في مجلس النبي ﷺ فأمروا أن يفسح بعضهم لبعض: **﴿فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾** أي: فوسعوا يوسع الله لكم في الجنة، وهي عامة في كل مجلس اجتمع فيه المسلمون للخير والأجر، سواء كان مجلس حرب أو ذكر أو خطبة الجمعة، وكل واحد أحق بمكانه الذي سبق إليه، ولكن يوسع لأخيه، قال ﷺ:

"لا يُقِمُّ الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثم يجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا" **﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾** أي: إذا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآهُمْ وَإِلَهُهُمْ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ وَمَنْ يَنْتَهُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ **﴿٧﴾** أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَئَسَ الْمُصِيرُ **﴿٨﴾** يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجُّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجُّوْا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَأَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ **﴿٩﴾** إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِالْإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ **﴿١٠﴾** يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ **﴿١١﴾**

﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ **﴿٧﴾** أي: أن علمه محيط بما فيهما، بحيث لا يخفى عليه شيء مما فيهما **﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَآهُمْ وَإِلَهُهُمْ﴾** ما يوجد من تناجي رجال ثلاثة **﴿إِلَّا هُوَ رَآهُمْ﴾** في الاطلاع على تلك النجوى **﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادُّهُمْ﴾** لأنه سبحانه مع كل عدد، قل أو كثر، يعلم السر والجهر، لا تخفى عليه خافية **﴿وَلَا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ﴾** أي: ولا أقل من العدد المذكور؛ كالواحد، والاثنين، ولا أكثر منه؛ كالسبعة والسبعة **﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾** يعلم ما يتناجون به لا يخفى عليه منه شيء **﴿أَنْ مَّا كَانُوا﴾** في أي مكان من الأمكنة **﴿ثُمَّ يَنْتَهُهُمْ﴾** أي: يخبرهم **﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾** أي: ليعلموا أن نجواهم لم تكن عليه خافية، وليكون إعلامه لمن يتناجون بالسوء توبيخاً لهم وتبكيتاً وإلزاماً للحجة.

﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَهَوُا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نَهَوْا عَنْهُ **﴿٨﴾** كان اليهود إذا مر بهم الرجل من المؤمنين تناجوا بينهم حتى يظن المؤمن شراً، فهاهم الله فلم ينتهوا، فنزلت: **﴿وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ﴾** أي: بغيبة المؤمنين وأذاهم ونحو



طلب من بعض الجالسين في المجلس أن ينهضوا من أماكنهم ليجلس فيها أهل الفضل في الدين، وأهل العلم بالله فليقوموا ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ أي: يرفع الذين أوتوا العلم منكم درجات عالية في الكرامة في الدنيا والثواب في الآخرة، فمن جمع الإيمان والعلم رفعه الله بإيمانه درجات، ثم رفعه بعلمه درجات، ومن جملة ذلك رفعه في المجالس.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْنَاهُ الرِّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى صَدَقَةٍ﴾ أي: إذا أردتم مسارعة الرسول ﷺ في أمر من أموركم فقدموا قبل مسارعتكم له صدقة، تتصدقوا بها، فلما أنزل الله هذه الآية انتهى أهل الباطل عن مناجاة النبي ﷺ لأنهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة، وشق ذلك على أهل الإيمان وامتنعوا عن النجوى لضعف كثير منهم عن الصدقة، ثم خفف الله عنهم بالآية التي بعد هذه ﴿ذَلِكَ﴾ تقديم الصدقة بين يدي النجوى ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لما فيه من طاعة الله ﴿فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يعني: من كان منهم لا يجد تلك الصدقة فلا حرج عليه في النجوى بدون صدقة.

﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى صَدَقَةٍ﴾ أي: أخفتم الفقر والعيلة لأن تقدموا ذلك؟ قال مقاتل: إنما كان ذلك عشر ليالٍ ثم نسخ ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما أمرتم به من الصدقة بين يدي النجوى لثقلها عليكم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بأن رخص لكم في الترك ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ والمعنى: إذا وقع منكم التثاقل عن تقديم الصدقة بين يدي النجوى فاثبتوا على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهو مجازيكم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا اقْوِمُوا﴾ أي: والوهم؛ هم المنافقون تولوا اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ المغضوب عليهم: هم اليهود ﴿مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ كما قال الله فيهم ﴿مُذَبِّدِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ﴾، ويحتمل أنهم اليهود، أي يقول للمؤمنين: ليس اليهود منكم ولا من المنافقين، فلماذا لا يتولاهم المنافقون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: يحلفون أنهم مسلمون، أو يحلفون أنهم ما نقلوا الأخبار إلى اليهود ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: يعلمون بطلان ما حلفوا عليه، وأنه كذب لا حقيقة له.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بسبب هذا التولي والحلف على الباطل ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال القبيحة.

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْنَاهُ الرِّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى صَدَقَةٍ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَى صَدَقَةٍ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ لِّمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قَالُوا اقْوِمُوا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَالِفُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبُ بَيْنَ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّكَ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ وهي ما كانوا يحلفون عليه من الكذب بأنهم من المسلمين، توقيًا من القتل بالكفر، فجعلوا هذه الأيمان وقاية وسترة دون دمايتهم، فأمنت ألسنتهم من خوف القتل، ولم تؤمن قلوبهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: منعوا الناس عن الإسلام بسبب ما يصدر عنهم من الشبب، وتهوين أمر المسلمين، وتضعيف شوكتهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ أي: يهينهم ويخزيهم.

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ أي: يحلفون لله يوم القيامة على الكذب، كما يحلفون لكم في الدنيا، فيقولون: والله ربنا ما فعلنا ذلك، وهذا من شدة شقاوتهم، فإن الحقائق يوم القيامة قد انكشفت، وصارت الأمور معلومة بضرورة المشاهدة، ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: يحسبون في الآخرة أنهم بتلك الأيمان الكاذبة على شيء مما يجلب نفعًا، أو يدفع ضررًا، كما كانوا يحسبون ذلك في الدنيا.

منه، ورعايته أقوى من رعاية الأبوة والبنوة والأخوة والعشيرة، ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الذين لا يوادون من حادَّ الله ورسوله ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أثبتته، وقيل: جعله، وقيل: جمعه ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ أي: قوَّاهم بنصره على عدوِّهم في الدنيا، وسمى نصره لهم روحاً لأن به يحيا أمرهم ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ على الأبد ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: قبل أعمالهم وأفاض عليهم آثار رحمته العاجلة والآجلة ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: فرحوا بما أعطاهم الله عاجلاً وأجلاً ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أي: جنده الذين يمثلون أوامره، ويقاتلون أعداءه، وينصرون أوليائه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بسعادة الدنيا والآخرة، أخرج ابن أبي حاتم والطبراني والحاكم: جعل والد أبي عبيدة بن الجراح يتقصّد لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر قصده أبو عبيدة فقتله، فنزلت هذه الآية.

سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ هم بنو النضير، وهم رهط من اليهود من ذرية هارون، نزلوا المدينة في فتن بني إسرائيل، فغدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوه، وصاروا عليه مع المشركين، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجلاء، قال الكلبي: كانوا أول من أجلى من أهل الكتاب من جزيرة العرب، ثم أجلى آخرهم في زمن عمر، فكان جلاؤهم أول حشر من المدينة، وآخر حشر إجلاء عمر لهم، وقيل: آخر الحشر هو حشر جميع الناس إلى أرض الحشر ﴿مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ أي: ما ظننتم أيها المسلمون أن بني النضير يخرجون من ديارهم لعزبتهم ومنعتهم، وكانوا أهل حصون مانعة، وعقار ونخيل واسعة، وأهل عدد وعدة ﴿وظننوا أنهم ما منعتهم حصونهم من الله﴾ أي: وظن بنو النضير أن حصونهم تمنعهم من بأس الله ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ أي: أتاهم أمر الله من جهة لم يخطر ببالهم أنه يأتيهم أمره منها، وهو أنه سبحانه أمر نبيه ﷺ بقتالهم وإجلالهم، وكانوا لا يظنون أن الأمر يصل إلى ذلك، بل كانوا عند أنفسهم أعز وأقوى ﴿وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ﴾ الرعب: أشد الخوف، قال ﷺ: "نصرت بالرعب مسيرة شهر" ﴿يُخْرِجُونَ يَبُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك أنهم لما أيقنوا بالجلاء حسدوا المسلمين أن يسكنوا

لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

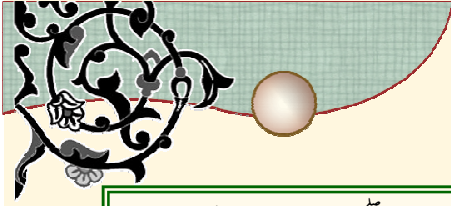
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِجُونَ يَبُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٢﴾

﴿أَسْتَخَوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: غلب عليهم واستولى واستولى وأحاط بهم ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ أي: فتركوا أوامره والعمل بطاعته ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ أي: جنوده وأتباعه ورهطه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لأنهم باعوا الجنة بالنار، والهدى بالضلالة، وكذبوا على الله وعلى نبيه، فسوف يخسرون في الدنيا والآخرة.

﴿الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ تقدم معنى المحادة لله ولرسوله في أول هذه السورة ﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ من جملة من أذله الله من الأمم في الدنيا والآخرة.

﴿كَتَبَ اللَّهُ لِأَعْلِينَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ أي: قضى في سابق علمه؛ لأعْلِينَ أنا ورسلي بالحجة والقدرة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ قوي على نصر أوليائه، غالب لأعدائه لا يغلبه أحد.

﴿لَا يَتَّخِذُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يوادون: يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وشاقهما ﴿وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ أي: ولو كان المحادون لله ورسوله آباء الموادين إلح، فإن الإيمان يزجر عن ذلك ويمنع



منازلهم ، فجعلوا يخربونها من داخل ، والمسلمون من خارج ، قال الزهري وعروة بن الزبير : لما صالحهم النبي ﷺ على أن لهم ما أقلت الإبل كانوا يستحسنون الخشبة أو العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على إبلهم ويخرب المؤمنون باقيها ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ أي : اعلّموا أن الله يفعل مثل ذلك بمن غدر وحاد الله . ﴿وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبُكُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ أي : لولا أن كتب الله عليهم الخروج من أوطانهم على الوجه ، وقضى به عليهم ، لعذبهم بالقتل والسبي في الدنيا كما فعل ببني قريظة .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي : بسبب عداوتهم لله ورسوله وتقضهم العهد استحقوا العقاب .

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أخذ بعض المسلمين في معركة بني النضير يقطع نخيل الكفار لإغاثتهم ، فقال بنو النضير وهم أهل كتاب : يا محمد ألسنت ترعّم أنك نبي تريد الصلاح ؟ أفمن الصلاح قطع النخل وحرق الشجر ؟ وهل وجدت فيما أنزل عليك إباحة الفساد في الأرض ؟ فشق ذلك على رسول الله ﷺ ووجد المسلمون في أنفسهم ، فنزلت الآية : ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي : ليزلّ الخارجين عن الطاعة ؛ وهم اليهود ، ويغيظهم في قطعها وتركها ، فإنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون في أموالهم كيف شاءوا ازدادوا غيظاً وخزيًا .

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ الإيجاف : إسراع الراكب فرسه ، أي أن ما رده الله تعالى على رسول الله ﷺ من أموال بني النضير لم تركبوا لتحصيله خيلاً ولا إبلاً ، ولا تجشمت لها مشقة ، ولا لقيتم بها حرباً ، وإنما كانت من المدينة على ميلين ، فجعل الله سبحانه أموال بني النضير لرسوله ﷺ خاصة لهذا السبب ، فإنه افتتحها صلحاً وأخذ أموالها ، ولم يقسمها بين الغائمين .

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ هذا بيان لمصارف الفيء بعد البيان أنه لرسول الله ﷺ خاصة ، وهو حكم كل قرية يفتحها رسول الله ﷺ والمسلمون بعده إلى يوم القيامة صلحاً بغير قتال ، ولم يوجف عليها المسلمون بخيل ولا ركاب ﴿فَلِلَّهِ﴾ يحكم فيها بما يشاء ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ يكون ملكاً له ، ثم في مصالح المسلمين ﴿وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ بنو هاشم وبنو المطلب ، أي : لفقرائهم ؛ لأنهم قد ميعوا من الصدقة ، فجعل لهم حقاً في الفيء ﴿وَالْيَتَامَى﴾ الصغار الذين مات آبائهم قبل مرحلة البلوغ ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الفقراء ﴿وَأَبْنَى السَّبِيلِ﴾ الغريب الذي نفدت نفقته ﴿كَيْ لَا يَكُونَ

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولُهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خُذْتُمْ مِمَّا نَهَكْتُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

دُولُهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ فيغلب الأغنياء الفقراء ، فيتداولوه بينهم ﴿وَمَا أَنْتُمْ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خُذْتُمْ مِمَّا نَهَكْتُمْ عَنْهُ فَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ أي : ما أعطاكم من مال الفيء فخذوه ، وما نهاكم عن أخذه فانتهاوا عنه ولا تأخذوه .

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ من مكة ، اضطروهم إلى الخروج منها فخرجوا ، فجعل لهم في الفيء حقاً ليغنيهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بالرزق في الدنيا وبالرضوان في الآخرة ﴿وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بالجهاد للكفار ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ﴾ أي : الراسخون في الصدق .

﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار سكنوا المدينة قبل المهاجرين ، وأمنوا بالله ورسوله ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أحسنوا إلى المهاجرين وأشركوهم في أموالهم ومسكنهم ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ حسداً أو غيظاً أو حزازة ﴿وَمِمَّا أُوتُوا﴾ أي : مما أوتي المهاجرون دونهم من الفيء ، بل طابت أنفسهم بذلك ، وكان المهاجرون في دور الأنصار ، فلما غنم النبي ﷺ أموال بني النضير دعا الأنصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم ، وإشراكهم في



وبغضاً وحسداً، فیدخل فی ذلك الصحابة دخولاً أولیاً لكونهم أشرف المؤمنین، ولكون السیاق فیهم، فمن وجد فی قلبه لهم غلاً؛ كالرافضة، فقد أصابه نزغ من الشیطان، وحل به نصیب وافر من عصیان الله بعداوة أولیائه وخیر أمة نبیه ﷺ وليس له فی الفیء حق، وكذلك من سبهم أو آذاهم أو تنقصهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ هم عبد الله بن أبی أصحابه، بعثوا إلى بنی النضیر: أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لا نسلمكم، وإن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أخرجتم لنخرجن من ديارنا فی صحتكم ﴿وَلَا نَطِيعُ فِیْكُمْ﴾ أي: فی شأنكم، ومن أجلكم أحداً ممن یرید أن یمنعنا من الخروج معكم ﴿أَبَدًا﴾ وإن طال الزمان ﴿وَأِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ على عدوكم، ثم كذبهم سبحانه، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فیما وعدوهم به من الخروج معهم والنصرة لهم.

﴿لَنْ أُخْرِجُوا وَلَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ وقد كان الأمر كذلك، فإن المنافقین لم یخرجوا مع من أخرج من اليهود، وهم بنو النضیر ومن معهم، ولم یصوروا من قتلوا من اليهود، وهم بنو قریظة وأهل خیبر ﴿وَلَنْ نَصْرُوهُمْ لَوْلَاكَ الْأَدْبَرُ﴾ منهزمین ﴿ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ لا یصیر المنافقون منصورین بعد ذلك، بل یذلهم الله ولا ینفعهم نفاقهم.

﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لأنتم یا معاشر المسلمین أشد خوفاً وخشية فی صدور المنافقین، أو صدور اليهود، من رهبة الله ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ولو كان لهم فقه لعلموا أن الله سبحانه هو الذي سلطكم علیهم، فهو أحق بالرهبة منكم.

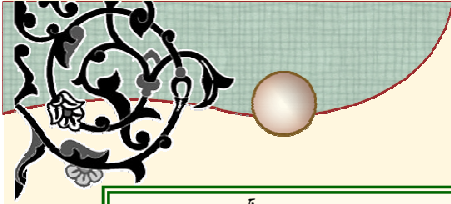
﴿لَا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ مجتمعین لقتالكم ﴿إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ﴾ أي: فی الدروب والدور ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: من خلف الحيطان التي یستترون بها لجبنهم ورهبتهم ﴿بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي: بعضهم غلیظ فظ على بعض ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ أي: إن اجتماعهم إنما هو فی الظاهر، مع تخالف قلوبهم فی الباطن، مختلفة آراؤهم وأهواؤهم. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ولو عقلوا لعرفوا الحق واتبعوه فتوحدوا ولم یختلفوا.

﴿كَمْثِلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار المشركین ﴿قَرِيبًا﴾ یعنی: فی زمن قریب ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ﴾ أي: سوء عاقبة كفرهم، فی الدنيا یقتلهم يوم بدر، وكان ذلك قبل غزوة بنی النضیر بسة أشهر.

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِیْكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصْرُوهُمْ لَوْلَاكَ الْأَدْبَرُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمْثِلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمْثِلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنْ بَرِئْتُ مِنْكَ فَإِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

أموالهم، ثم قال ﷺ: "إن أحببتم قسمت ما أفاء الله على من بنی النضیر بینكم وبين المهاجرین، وكان المهاجرون على ما هم علیه من السكنی فی مساكنكم والمشاركة فی أموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم ذلك وخرجوا من دياركم"، فرضوا بقسمة ذلك فی المهاجرین وطابت أنفسهم. لكن هذا حدیث لم یذكر الشوكاني من أخرجه، وفي سيرة ابن هشام قال: إن النبی ﷺ قسم غنائم بنی النضیر ولم یعطي الأنصار شيئاً. ﴿وَيُؤْفَكُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ یقدمون المهاجرین على أنفسهم فی حظوظ الدنيا ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ أي: حاجة وفقير ﴿وَمَنْ يُوقِ شَخْ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: من كفاه الله حرص نفسه وبخلها فأدّى ما أوجبه الشرع علیه فی مال من زكاة أو حق فقد فاز ونجح، ولم یفز من بخل بذلك وشحت به نفسه.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ الذين یحبون السابقین من المهاجرین والأنصار ویستغفرون لهم، ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: غشاً



﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ أي:

مَثَلُهُمْ فِي تَحَاذُلِهِمْ وَعَدَمِ تَنَاصُرِهِمْ، كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ، أَغْرَاهُ بِالْكَفْرِ وَزَيْنَهُ لَهُ وَحْمَلَهُ عَلَيْهِ ﴿فَلَمَّا كَفَرَ﴾ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ أَي: فلما كفر الإنسان مطاوعة للشيطان وقبولا لتزيينه، قال الشيطان: إني بريء منك ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ هذا من قول الشيطان على وجه التبري من الإنسان.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ﴾ أي: اتقوا عقابه بفعل ما أمركم به وترك ما نهاكم عنه ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ أي: لتنظر أي شيء قدّمت من الأعمال ليوم القيامة.

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا أمره، ولم يبالوا بطاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: جعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب، وقيل: نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أي: الخارجون عن طاعة الله.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ أي: الظافرون بكلّ مطلوب، الناجون من كلّ مكروه.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي: بلغ من شأنه وعظمته وبلاغته واشتماله على المواعظ التي تلين لها القلوب؛ أنه لو أنزل على جبل من الجبال لرأيتَهُ [متشققاً] من خشية الله، حذراً من عقابه، وخوفاً من أن لا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما يجب عليهم التفكير فيه ليتعظوا بالمواعظ، وينزجروا بالزواجر.

﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: هو عالم ما غاب عن الإحساس، وأما ما حضر فهو مرئي بالعيون.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرهه للتأكيد والتقرير ﴿الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ﴾ أي: الطاهر من كل عيب المنزه عن كلّ نقص، وقيل: معناه الذي سلم الخلق من ظلمه ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ أي: الذي وهب لعباده الأمن من الظلم، وقيل: المصدق لرسله بإظهار المعجزات، ﴿الْمُهَيِّمُ﴾ أي: الشهيد على عباده بأعمالهم، الرقيب عليهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القاهر الغالب غير المغلوب ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبروت الله عظمته، وقيل: الجبار الذي لا تطاق سطوته ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ أي: الذي تكبر عن كل

فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصِّدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ

نقص، وتعظم عما لا يليق به، والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم. ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ﴾ أي: المقدر للأشياء على مقتضى إرادته ومشيئته ﴿الْبَارِئُ﴾ أي: المنشئ المخير للأشياء الموجد لها ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ أي: الموجد للصور المركب لها على هيئات مختلفة ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق بتزييه بلسان الحال أو المقال كل ما فيهما.

سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم، في غزوة فتح مكة سنة ثمان من الهجرة، والآية تدلّ على النهي عن موالة الكفار بوجه من الوجوه ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي: توصلون إليهم أخبار النبي ﷺ بسبب المودة التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ أي: كفروا بالله والرسول وما جاءكم به من القرآن والهداية الإلهية ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِ
وَأَنْبِيَائِهِ مَرْضَاتٍ لِّسُرِّئِ الْيَهُم بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝١ إِنْ
يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ
بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝٢ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٣ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ
إِنَّا بَرُّؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا لَنَا
بَيْنَكُمْ وَالْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا
قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرْ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
رَبَّنَا عَلَيْنَا نَوَكُنَا وَإِلَيْكَ الْآبَتُ الْمَصِيرُ ۝٤ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥

وإيَّاكم ۝ أي: أخرجوه وإياكم من مكة، لكفرهم بما
جاءكم من الحق، فكيف توادونهم؟ ۝ أن تؤمنوا بالله
ريكم ۝ أي: يخرجونكم بسبب إيمانكم بالله، أو كراهة
أن تؤمنوا ۝ (إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وأنبياء مَرْضَاتٍ)
أي: إن كنتم كذلك فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء
تسرون إليهم بالمودة ۝ أي: تسرون إليهم الأخبار بسبب
المودة ۝ وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ۝ أي: أعلم من
كل أحد بما تفعلونه من إرسال الأخبار إليهم
ومن يفعلهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ أخطأ طريق
الحق والصواب، وضلَّ عن قصد السبيل.

٢ ۝ إِنْ يَتَّقَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً ۝ إنهم إن يلقوكم
ويصادفوكم يظهروا لكم ما في قلوبهم من العداوة
وَيَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ ۝ أي: يمدوا إليكم
أيديهم بالضرب ونحوه، وألسنتهم بالشتيم ونحوه ۝ وَوَدُّوا
لَوْ تَكْفُرُونَ ۝ تمنوا ارتدادكم ورجوعكم إلى الكفر.
٣ ۝ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۝ إن أولادكم
وأقاربكم لن ينفعوكم يوم القيامة حتى توالوا الكفار
لأجلهم، كما وقع في قصة حاطب، بل الذي ينفعكم هو

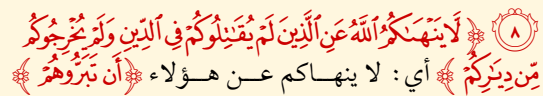
ما أمركم الله به من معاداة الكفار وجهادهم وترك
موالاتهم ۝ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۝ فيدخل أهل
طاغته الجنة، وأهل معصيته النار.

٤ ۝ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۝ أي: خصلة حميدة
تقتدون بها ۝ (فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ) ۝ يقول: أفلا تأسيت
يا حاطب بإبراهيم، فتتبرأ من أهلك كما تبرأ إبراهيم من
أبيه وقومه ۝ (إِذْ قَالُوا الْقَوْمِ إِنَّا بَرُّؤُا مِنْكُمْ) ۝ أي: بريئون
منكم، فلسنا منكم ولستم منا، لكفرهم بالله ۝ وَمِمَّا
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۝ وهي الأصنام، ۝ (كَفَرْنَا بِكُمْ) ۝ أي:
بدينتكم، أو بأفعالكم ۝ (وَبَدَا لَنَا بَيْنَكُمْ وَالْعَدَاوَةُ
وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا) ۝ أي: هذا دأبنا معكم ما دمت على
كفركم ۝ (حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ) ۝ وتركوا ما أنتم عليه
من الشرك، فإذا فعلتم ذلك صارت تلك العداوة موالاة،
والبغضاء محبة ۝ (إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَا تُغْفِرْ لَكَ) ۝ أي:
قد كانت لكم أسوة حسنة في كل مقالات إبراهيم إلا قوله
لأبيه، فلا تتأسوا به فتستغفروا للمشركين، فإنه كان عن
موعدة وعدها إياه ۝ (فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ
مِنْهُ) ۝ (وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) ۝ أي: وما أرفع
عنك من عذاب الله شيئاً.

٥ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۝ قال مجاهد: لا
تعذبنا بأيديهم، ولا بعذاب من عندك؛ فيقولوا: لو كان
هؤلاء على حق ما أصابهم هذا.

٦ ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ۝ أي: لقد كان لكم في
إبراهيم والذين معه قدوة حسنة ۝ (لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ) ۝ أي: أن هذه الأسوة إنما تكون لمن يطعم في الخير
من الله في الدنيا وفي الآخرة ۝ (وَمَنْ يَتَوَلَّ) ۝ أي: يعرض عن
ذلك ۝ (اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) ۝ عن خلقه ۝ (الْحَمِيدُ) ۝ إلى أوليائه.

٧ ۝ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۝
بينكم وبين مشركي مكة، وذلك بأن يسلموا فيصيروا من
أهل دينكم، وقد أسلم قوم منهم بعد فتح مكة وحسن
إسلامهم، ووقعت بينهم وبين من تقدمهم في الإسلام
مودَّة، وجاهدوا وفعلوا الأفعال المقرَّبة إلى الله، وقد تزوج
النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان، ولم تحصل المودة
معه إلا بعد إسلامه يوم الفتح، وترك أبو سفيان العداوة
لرسول الله ﷺ، عن أبي هريرة قال: أول من قاتل
أهل الردة على إقامة دين الله أبو سفيان بن حرب،
وفيه نزلت هذه الآية: ۝ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً ۝، ۝ (وَاللَّهُ قَدِيرٌ) ۝ بليغ القدرة
قادر على أن يقبل بقلوب المعاندين ليدخلهم في
مغفرته ورحمته.



﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ﴾ وهم صناديد الكفر من قريش وأشباههم ممن هم حرب على المسلمين ﴿ وَظَلَهُمْ وَأَعْلَى إِغْرَاجِكُمْ ﴾ أي :

عاونوا الذين قاتلوكم وأخرجوكم على ذلك، وهم سائر أهل مكة، ومن دخل معهم في عهدهم ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ أي: أن تتخذوهم أولياء وتناصروهم ﴿وَمَنْ يُوَلِّمْهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لأنهم تولوا من يستحق العداوة، لكونه عدواً لله ولرسوله ولكتابه.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مِنْهُنَّ حُرٌّ﴾ ﴿١٠﴾

من بين الكفار ، وذلك أن النبي ﷺ لما صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يردّ عليهم من جاءهم مسلماً ، فلما هاجرن إليه النساء أبى الله أن يرددن إلى المشركين ، وأمر بامتحانهن **﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾** أي : اختباروهن ، لتعلموا مدى رغبتهن في الإسلام ، فقد كن يستحلفن بالله ما خرجن من بغض زوج ، ولا رغبة من أرضٍ إلى أرض ، ولا التماس دنيا ، بل حباً لله ولرسوله ورغبة في دينه ، فإذا حلفت على ذلك أعطى النبي ﷺ لزوجها مهرها وما أنفقه عليها ، ولم يردّها إليه **﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾** لبيان أن حقيقة حالهن لا يعلمها إلا الله سبحانه ، ولم يتعبدكم بذلك ، وإنما تعبدكم بامتحانهن حتى يظهر لكم ما يدلّ على صدق دعواهن في الرغبة في الإسلام **﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ﴾** بحسب الظاهر بعد الامتحان الذي أمرتم به **﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾** إلى أزواجهنّ الكافرين **﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا﴾** فالؤمنة لا تحلّ لكافر ، وإسلام المرأة يوجب فرقتها من زوجها ، لا مجرد هجرتها **﴿وَأَنْتُمْ مِمَّا انْفَقَوْا﴾** وأعطوا أزواج هؤلاء اللاتي هاجرن وأسلمن مثل ما أنفقوا عليهنّ من المهور ، قال الشافعي : وإذا طلبها غير الزوج من قراباتها منع منها بلا عوض **﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾** أي : بعد العدة ، لأنهنّ قد صرن من أهل دينكم **﴿إِذَا أَلَيْسَ لِيُتْمُوهُنَّ أَجْرُهُنَّ﴾** أي : مهورهنّ ، وذلك بعد انقضاء

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن بُوَلَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَىٰ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِينِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ
﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم
مِّن دِينِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَيَّ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَاُولَٰئِكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حُلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاوَهُنَّ
مَّا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيَّكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تَنْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُفَّارِ وَسَلِّمُوا مِمَّا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنْفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
شَيْءٌ مِّنْ أَرْزَاقِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَتَأْوُوا إِلَيْهِمْ ذَهَبَتْ
أَرْزَاقُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

عَدَّتْهُنَّ ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ﴾ والمعنى: إن من كانت له امرأة كافرة فليست له بامرأة لانقطاع عصمتها باختلاف الدين، وكان الكفار يزوجون المسلمين، والمسلمون يتزوجون المشركات، ثم نُسخ ذلك بهذه الآية، وهذا خاص بالكوافر المشركات دون الكوافر من أهل الكتاب ﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ أي: اطلبوا مهور نساتكم إذا ارتددن ﴿وَلَيْسَ لَكُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ قال المفسرون: كان من ذهب من المسلمات مرتدة إلى الكفار من أهل العهد، يقال للكفار: هاتوا مهرها، ويقال للمسلمين إذا جاءت امرأة من الكفار إلى المسلمين وأسلمت: ردّوا مهرها على زوجها الكافر ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرجاع المهور من الجهتين ﴿حُكْمُ اللَّهِ﴾ أي: مع المشركين بعد صلح الحديبية بخلاف المشركين الذين لا عهد لهم، وقد نُسخَ هذا، قال القرطبي: وكان هذا مخصوصاً بذلك الزمان في تلك النازلة خاصة، أي ما يتعلق برد المهور، لا التفريق بين الزوجين إذا أسلم أحدهما. ﴿وَأَنفَقْتُمْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ﴾ بأن ارتدت المسلمة فرجعت إلى دار الكفر ولو أهل الكتاب ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أي: كانت الغنيمة لكم حتى غنمتم ﴿فَاتَّوَا الَّذِينَ ذَهَبَتْ

﴿فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ أي: اطلب من الله المغفرة
لهن بعد هذه المبايعة لهن منك.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ هم جميع طوائف الكفر، وقيل: اليهود خاصة
﴿قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: إنهم لا يوقنون بالآخرة
البتة بسبب كفرهم ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾
كياسهم من بعث موتاهم لاعتقادهم عدم البعث.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ عن
ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد
يقولون: ودنا لو أن الله أخبرنا بأحب الأعمال فنعمل بها،
فلما أخبرهم أن أحب الأعمال إليه الجهاد كره ذلك أناس من
المؤمنين وشق عليهم أمره، فنزلت هذه الآية.

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
أي: إن الله تعالى يمتك ذلك مقتمًا عظيمًا، وقيل: هي في قوم
كانوا يأتون إلى النبي ﷺ فيقول أحدهم: قاتلت بسيفي،
وضربت كذا وكذا، وهم لم يفعلوا ذلك.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾
يبين الله تعالى لهم هنا أن القتال في سبيل الله هو أعلى ما
يحبه الله من عباده، وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام،
وعمره الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"
﴿صَفًّا﴾ أي: يصفون أنفسهم صفاً ﴿كَأَنَّهُمْ بَيْنَ
مَرْمُوسٍ﴾ ملتزق بعضه ببعض حتى يصير كقطعة
واحدة، وهذا من شدتهم وقوتهم في أمر الله، ليس فيهم
عن ذلك تراخ، ولا ينفذهم العدو.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ لما ذكر سبحانه أنه
يحب المقاتلين في سبيله؛ بين أن موسى وعيسى أمرا
بالتوحيد وجاهدا في سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما،
لتحذر أمة محمد ﷺ أن يفعلوا مع نبيهم ما فعله قوم
موسى وعيسى معهما ﴿يَقُولُوا لِمَ تُوَدُّونِي﴾ بمخالفة ما
أمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أو
تؤذونني بالشتم والانتقاص ﴿وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ المعنى: كيف تؤذونني مع علمكم بأني
رسول الله، والرسول يُحترم ويُعظم، ولم يبق معكم شك
في الرسالة لما قد شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم
الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علماً يقينياً ﴿فَلَمَّا
زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ يعني: أنهم لما تركوا الحق بإيذاء
نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاءً بما ارتكبوا.

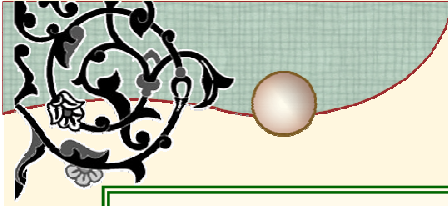
يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يُشْرَفَنَّ وَلَا يُزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِبَهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيْنَكَ
فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَانْتَوَلَوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ
بَيْنَ مَرْمُوسٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقُولُوا لِمَ
تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا
زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

أَزَوَّجَهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ أمروا أن يعطوا الذين ذهب
أزواجهم مثل مهورهن من الفداء والغنيمة إذا لم يرد عليه
المشركون مهرها ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ أي:
احذروا أن تتعرضوا لشيء مما يوجب العقوبة عليكم.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ﴾ أي:
قاصدات لمبايعتك على الإسلام ﴿عَلَى أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ
شَيْئًا﴾ كائنًا ما كان، وهذا كان يوم فتح مكة، فإن نساء
أهل مكة أتبن رسول الله ﷺ يبايعنه، فأمره الله أن يأخذ
عليهن أن لا يشركن ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ وهو ما كانت
تفعله الجاهلية من وأد البنات ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبَهْتَنٍ يَفْتَرِيْنَهُ
بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: لا يلحقن بأزواجهن
أولادًا ليسوا منهم، قال الفراء: كانت المرأة تلتقط
المولود، فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، قال ابن
عباس: كانت المرأة تلد جارية فتجعل مكانها غلامًا
﴿وَلَا يَعْصِيْنَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي: من كل أمر هو طاعة
لله؛ كالنهي عن النوح، وتمزيق الثياب، وجز الشعر،
وشق الجيب، وخمش الوجوه، والدعاء بالويل



وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَحْرِيفِ نُجِيِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآيَدْنَا اللَّهُ فَنَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ﴿١٤﴾ أي: داوموا على ما أتمتم عليه من نصرة الدين ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ فقالوا: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ والمعنى: من منكم يتولى نصرتي وإعانتني فيما يقرب إلى الله، والحواريون: هم أنصار المسيح وخلص أصحابه، وأول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلاً ﴿فَنَامَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى ﴿وَكَفَرَتْ﴾ به ﴿طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ أي: قويناهم المحقين منهم على المبطلين ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ أي: عابدين غالبين، عن قتادة في قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآووه ونصروهم حتى أظهر الله دينه، قال رسول الله ﷺ للنفر الذين لقوه بالعقبة: "أخرجوا إليّ اثني عشر منكم يكونون كفلاء على قومهم، كما كفلت الحواريون لعيسى بن مريم، ثم قال ﷺ للنقباء: إنكم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل قومي، قالوا: نعم."

﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿٦﴾ أي: إني رسول الله إليكم بالإنجيل، لم آتكم بشيء يخالف التوراة، بل هي مشتملة على التبشير بي، فكيف تنفرون عني وتخالفونني ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ وإذا كنت كذلك فلا مقتضي لتكديبي، وأحمد اسم نبينا ﷺ، وتفسيره في الأصل: الذي يحمد بما فيه من خصال الخير أكثر ممن يحمد غيره. ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أي: لما جاءهم عيسى بالمعجزات قالوا هذا الذي جاءنا به سحر واضح ظاهر، وقيل: المراد محمد ﷺ، أي: لما جاءهم بذلك قالوا ساحر. ﴿٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ ﴿٧﴾ الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك فحقه ألا يفترى على غيره الكذب، فكيف يفترى على ربه؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ والمذكورون من جملتهم. ﴿٨﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿٨﴾ أي: إن حالهم في محاولتهم كبت الإسلام ومنع هدايته بأقوالهم الكاذبة كحال من يريد أن يطفئ النور العظيم بنفخ من فمه ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ بإظهار دين الإسلام في الآفاق، وإعلانه على غيره. ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿٩﴾ ليجعله ظاهراً منتصراً على جميع الأديان، عالياً عليها غالباً لها ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ فإنه كائن لا محالة. ﴿١٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى تَحْرِيفِ نُجِيِّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ جعل العمل بمنزلة التجارة، لأنهم يربحون فيه كما يربحون فيها، وذلك بدخولهم الجنة ونجاتهم من النار، وهذه التجارة هي التي بينها بالآيتين التاليتين، فإن معناهما: أن الإيمان والجهد ثمنهما من الله الجنة، وذلك بيع رابح. ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴿١١﴾ الله ﴿لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ذكر أولاً البضاعة التي يتاجرون بها، ويذكر هنا الثمن الذي وعدهم به أي: إن تؤمنوا يغفر لكم ﴿وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أي: تسكنوا في جنات إقامة دائمة لا تنقطع بموت ولا بخروج منها ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ أي: ذلك المذكور من المغفرة وإدخال الجنات؛ هو الفوز الذي لا فوز بعده، والظفر الذي لا ظفر يماثله. ﴿١٢﴾ يُحِبُّونَهَا ﴿١٢﴾ أي: ولكم خصلة أخرى تعجبكم ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: هي نصر من الله لكم ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ يفتح عليكم، يعني: النصر على قريش وفتح مكة، قال عطاء: يريد فتح فارس والروم ﴿وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المعنى: بشر يا محمد المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

ويزكي آخرين منهم، وهم من جاء بعد الصحابة من مسلمي العرب وغيرهم إلى يوم القيامة، أخرج البخاري عن أبي هريرة، قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ حين نزلت سورة الجمعة، فتلاها، فلما بلغ: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قال له رجل: يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا؟ فوضع يده على سلمان الفارسي وقال: "والذي نفسي بيده لو كان الإيمان بالثريا لئاله رجال من هؤلاء" ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: بلغ العزة والحكمة.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ﴾ هذا المثل ضربه سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة، أي: كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ أي: لم يعملوا بموجبها، ولا أطاعوا ما أمروا به فيها ﴿كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ الأسفار: جمع سفر وهو الكتاب الكبير، فالحمار لا يدري أسفر على ظهره أم زبل؟ ﴿بَنَسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: هذا المشبه به وهو الحمار، الذي يشبهه اليهود بحق، هو أقبح ما يمثل به للمكذبين، أي: فلا تكونوا أيها المسلمون مثلهم، فقدم الله هذا تحذيراً للذين تركوا رسول الله ﷺ على المنبر قائماً يخطب وذهبوا إلى التجارة، وشبيه به كل من أعرض عن الخطبة وهو يسمعه، كما في الحديث، قال ﷺ: "من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فمثل كمثل الحمار يحمل أسفاراً، والذي يقول له أنصت؛ ليس له جمعة". لكن هذا حديث ضعيف.

﴿قُلْ يَتَّابِهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ دُونَ النَّاسِ﴾ المراد بالذين هادوا: هم الذين تهودوا، وذلك أن اليهود ادعوا الفضيلة على الناس، وأنهم أولياء لله من دون الناس، وأبناء الله وأحبائه، فأمر الله سبحانه رسوله أن يقول لهم لما ادعوا هذه الدعوى الباطلة ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ لتصيروا إلى الكرامة في زعمكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في هذا الزعم، فإن من علم أنه من أهل الجنة أحب الخلاص من هذه الدار.

﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب ما عملوا من الكفر والمعاصي، والتحريف والتبديل.

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ أي: هو آت إليكم من الجهة التي أنتم فارون إليها، وسيقابلكم وجهاً لوجه ﴿ثُمَّ تَرُدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ﴾ وذلك يوم القيامة ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال القبيحة، ويجازيكم عليها.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

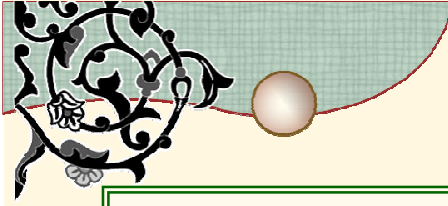
يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحَمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا بَنَسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَّابِهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

﴿١﴾ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ: القدوس: المنزه عن كل نقص.

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ: المراد بالأميين: العرب، من كان يحسن الكتابة منهم ومن لا يحسنها، لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأمي: الذي لا يكتب ولا يقرأ المكتوب، وكان غالب العرب كذلك ﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ يعني: القرآن، مع كونه أمياً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتعلم من أحد ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ أي: يطهرهم من دنس الكفر والذنوب وسيئ الأخلاق، وقيل: يجعلهم أذكاء القلوب بالإيمان ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، وقيل الكتاب: الخط بالقلم، والحكمة: الفقه في الدين، كذا قال مالك بن أنس ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: في شرك وذهاب عن الحق.

﴿٢﴾ وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ: أي: لم يلحقوا بهم في ذلك الوقت، وسيلحقون بهم من بعد، أي: يزكيهم



﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾ المراد به : الأذان ؛ إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة ، لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداءً سواه ، أما الأذان الأول للجمعة فقد زاده عثمان رضي الله عنه بمحضر الصحابة لما اتسعت المدينة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي : فاعملوا على المضى إلى ذكر الله ؛ وهو الخطبة وصلاة الجمعة في المساجد الجامعة ، واشتغلوا بأسبابه من الغسل والوضوء والتوجه إليه ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ أي : اتركوا المعاملة به ، ويلحق به سائر المعاملات ، فإذا أذن المؤذن يوم الجمعة لم يحل الشراء والبيع ﴿ذَلِكَكُمْ﴾ السعي إلى ذكر الله ، وترك البيع ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي : خير من فعل البيع ، وترك السعي ، لما في الامثال من الأجر والجزاء.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي : إذا فعلتم الصلاة وأديتموها وفرغتم منها ﴿فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والتصرف فيما تحتاجون إليه من أمر معاشكم ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ أي : من رزقه الذي يتفضل به على عباده ، من الأرباح في المعاملات والمكاسب ﴿اللَّهُ كَثِيرٌ﴾ أي : لا تنسوا في أثناء بيعكم وشرائكم أن تذكروه ذكراً كثيراً بالشكر له على ما هداكم إليه من الخير الأخروي والدنيوي ، وكذا اذكروه بما يقربكم إليه من الأذكار : كالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ أي : كي تفوزوا بخير الدارين وتظفروا به .

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سبب نزول هذه الآية : أنه كان بأهل المدينة فاقة وحاجة ، فأقبلت قافلة من الشام والنبى ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فانفلت الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلاً في المسجد ، وفي رواية أخرى : وسبع نسوة معهن ، ومعنى انفضوا إليها : تفرقوا خارجين إليها ﴿وَتَرَكُوا قَائِمًا﴾ أي : على المنبر ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني : من الجزاء العظيم ؛ وهو الجنة ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْبَيْعِ﴾ اللذين ذهبت إليهما ، وتركتم البقاء في المسجد وسماع خطبة النبي ﷺ لأجلها ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾ .

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ أي : إذا وصلوا إليك وحضروا مجلسك ﴿قَالُوا أَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ أكدوا شهادتهم ، للإشعار بأنها صادرة من صميم قلوبهم مع إخلاصهم في اعتقادهم ، ومعنى تشهد : نعلم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوا قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْبَيْعِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا أَتَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاذْكُرْهُمْ فَنُفِخَ لَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

﴿إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ تصديق من الله ﷻ لما تضمنه كلامهم من الشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة ، ولثلا يفهم عود التكذيب الآتي إلى ذلك ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي : في دعوى أن شهادتهم للنبي ﷺ بالرسالة هي من صميم القلب وإخلاص الاعتقاد ، لا إلى منطوق كلامهم ، وهو الشهادة بالرسالة فإنه حق .

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أي : جعلوا حلفهم الذي حلفوه لكم وقاية تقيهم منكم ، وسترة يستترون بها من القتل والأسر ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : منعوا الناس عن الإيمان والجهاد وأعمال الطاعة بسبب ما يصدر منهم من التشكيك والقدح في النبوة ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من النفاق والصد .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ أي : نفاقاً ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ في الباطن ، وقيل : نزلت الآية في قوم آمنوا ثم ارتدوا ﴿فَطَغَىٰ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أي : ختم عليها بسبب كفرهم ، فلا يدخلها إيمان بعد ذلك ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ما فيه صلاحهم ورشادهم .

الاستغفار ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يعرضون عن رسول الله ﷺ ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ عن إتيان رسول الله وسؤال الاستغفار منه، يرون أنفسهم أكبر من ذلك، ويستحقرونها لو فعلوا.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لا يفهم ذلك لإصرارهم على النفاق واستمرارهم على الكفر ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: ما داموا على النفاق ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الكاملين في الخروج عن الطاعة، والانهماك في معاصي الله، ويدخل فيه هذا المنافقون دخولاً أولاً.

﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ أي: حتى يتفرقوا عنه، يعنون بذلك فقراء المهاجرين ﴿وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: إنه هو الرزاق لهؤلاء المهاجرين ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن خزائن الأرزاق بيد الله فظنوا أن الله لا يوسع على المؤمنين.

﴿يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ القائل هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وعنى بالأعز: نفسه ومن معه، وبالأذل: رسول الله ﷺ ومن معه، ومراده بالرجوع: رجوعهم من تلك الغزوة، عن زيد بن أرقم قال: كنت مع النبي ﷺ في غزوة، فقال عبد الله بن أبي: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، قال: فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك، قال زيد: فلامني قومي، وقالوا: ما أردت إلى هذا؟ قال: فانطلقت فمئت كثيراً حزناً، قال: فأرسل إلي نبي الله ﷺ فقال: "إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَذْرَكَ وَصَدَقَكَ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ"

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ﴾ عن ذكر الله ﷻ يُحذّر الله المؤمنين من أخلاق المنافقين الذي ألهمهم أموالهم وأولادهم عن ذكر الله، وهو فرائض الإسلام، وقيل: قراءة القرآن ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: يلتهى بالدنيا عن الدين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الكاملون في الخسران.

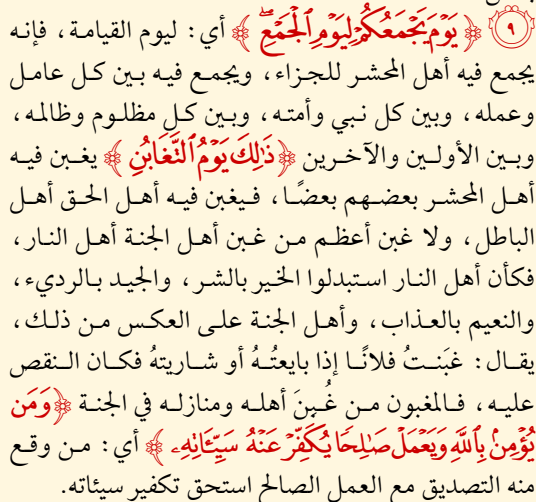
﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: أنفقوا بعض ما رزقناكم في سبيل الخير، وقيل: المراد الزكاة المفروضة ﴿وَمَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ﴾ بأن تنزل به أسبابه، أو يشاهد حضور علاماته ﴿فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي: هلا أمهلتنى وأخرت موتي إلى مدة أخرى قصيرة ﴿فَأَصْدَقَ﴾ أي: فأصدق بمالي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازَهُمْ وَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَفَقِّهِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ النِّجَابِ

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ هيئتهم ومناصبهم، تعجب من يراها لما فيها من النضارة والرونق ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم ودلالة ألسنتهم، وقد كان عبد الله بن أبي رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً ﴿كَأَنَّهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ شُبِّهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله ﷺ بالخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط، التي لا تفهم ولا تعلم، لخلوهم عن الفهم النافع، والعلم الذي ينتفع به صاحبه ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ قيل: كان المنافقون على وجل من أن ينزل فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ أن يتمكنوا من فرصة منك، أو يطلعوا على شيء من أسرارك، لأنهم عيون لأعدائك من الكفار ﴿فَلَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: لَعَنَهُمْ، أو هو تعليم للمؤمنين أن يقولوا ذلك ﴿أَنْفِي يَوْفُكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الحق ويميلون عنه إلى الكفر.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازٌ رُءُوسَهُمْ﴾ أي: حركوها استهزاءً بذلك، ورجبة عن



﴿١٤﴾ **﴿عَدُوَّكُمْ﴾** أي: أنهم يشغلونكم عن الخير، وسبب النزول أن رجالاً من مكة أسلموا وأرادوا أن يهاجروا، فلم يدعهم أزواجهم وأولادهم، وقال مجاهد: والله ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم مودتهم على أن اتخذوا لهم الحرام فأعطوهم إياه **﴿فَاَحْذَرُوهُمْ﴾** أي: احذروا الأزواج والأولاد أن تؤثروا حبكم لهم وشفقتكم عليهم على طاعة الله، ولا يحملكم ما ترغبونه لهم من الخير على أن تكسبوا لهم رزقاً بمعصية الله **﴿وَلِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا﴾** أي: إن تغفوا عن ذنوبهم التي ارتكبوها، وتركوا الشرب عليها وتستروها **﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** لكم ولهم، قيل: كان الرجل الذي ثبته أزواجه وأولاده عن الهجرة، إذا رأى الناس سبقوه إليها وفقهوا في الدين، هم أن يعاقب أزواجه أولاده.

﴿١٥﴾ **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾** أي: بلاء واختبار ومحنة، يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حق الله **﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** لمن أثر طاعة الله وترك معصيته في محبة ماله وولده.

﴿١٦﴾ **﴿فَأَنْفَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾** أي: ما أطقتم وبلغ إليه جهدكم **﴿وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾** أي: اسمعوا وأطيعوا أوامر الله ورسوله **﴿وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾** أي: أنفقوا من أموالكم التي رزقكم الله إياها في وجوه الخير، ولا تبخلوا بها، وقدموا خيراً لأنفسكم **﴿وَمَنْ يَوْفُ شَيْءٍ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** أي: من وقاه الله من داء البخل فأنفق في سبيل الله وأبواب الخير، فأولئك هم الظافرون بكل خير، الفائزون بكل مطلب.

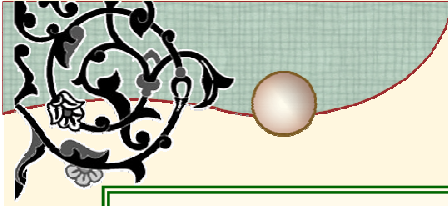
﴿١٧﴾ **﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾** أي: تصـرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نية وطيب نفس **﴿يُضْعِفُهُ لَكُمْ﴾** فيجعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف **﴿وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾** أي: يضم لكم إلى تلك المضاعفة غفران ذنوبكم **﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** يثيب من أطاعه بأضعاف مضاعفة، ولا يعاجل من عصاه بالعقوبة.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَنْفَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يَوْفُ شَيْءٍ نَفْسِهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

﴿١١﴾ **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** أي: بقضائه وقدره، قيل: وسبب نزولها أن الكفار قالوا: لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في الدنيا **﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾** أي: من يصدق ويعلم أنه لا يصيبه إلا ما قدره الله عليه، يهد قلبه عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه، ويسترجع، وإذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر **﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾** أي: بليغ العلم لا تخفى عليه من ذلك خافية.

﴿١٢﴾ **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾** أي: اشتهلوا بطاعة الله وطاعة رسوله **﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾** أي: إن أعرضتم عن الطاعة فإثمكم على أنفسكم، وليس على الرسول من بأس **﴿فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾** ليس عليه غير ذلك وقد فعل.



سُورَةُ الطَّلَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَاهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَبِرِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّتِي يَلْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعَنَّ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾

ومنع الحق، فإن ذلك لا يحل لكم ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على الرجعة إن راجعتم، أو المفارقة إن فارقتم، قطعاً للتنازع، وحسماً لمادة الخصومة ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا أمر للشهود بأن يأتوا بما شهدوا به تقريباً إلى الله على الوجه الحق ﴿ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خص المؤمن لأنه المنتفع بذلك دون غيره ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي: من يتق الله بالوقوف عند حدوده التي حدّها لعباده ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ مما وقع فيه. ﴿وَبِرِزْقِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أي: من وجه لا يخطر بباله، ولا يكون في حسابه، فمن طلق ثم أشهد عند المفارقة على انقضاء العدة، أو عند المراجعة، يجعل الله له مخرجاً ومخلصاً، وإنما الضيق على من خالف أحكام الله في الطلاق والرجعة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: ومن وثق بالله فيما نابه كفاه ما أهمه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغَ أَمْرِهِ﴾ أي: لا يفوته شيء ولا يعجزه مطلوب ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ جعل سبحانه للشدة أجلاً تنتهي إليه، وللرخاء أجلاً ينتهي إليه، قال السدي: هو قدر الحيض والعدة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ نادى النبي ﷺ أولاً تشريعاً له، ثم خاطبه مع أمته، والمعنى: إذا أردتم تطليقهن وعزمتن عليه ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي: مستقبليات لعدتهن، أو قبل عدتهن، والمراد: أن يطلقوهن في طهر لم يقع فيه جماع، ثم يتركن حتى تنقضي عدتهن، فإذا طلقوهن هكذا فقد طلقوهن لعدتهن، عن ابن عمر: "أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر ذلك عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله ﷺ ثم قال: ليراجعها، ثم أمسكها حتى تطهر، ثم تحيض وتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهراً قبل أن يمسها، فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء" ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: احفظوها واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى تتم العدة، وهي ثلاثة قروء، والخطاب للزواج ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ فلا تعصوه فيما أمركم، ولا تضاروهن ﴿لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ أي: التي كن فيها عند الطلاق ما دمن في العدة، وأضاف البيوت إليهن لبيان كمال استحقاقهن للسكنى في مدة العدة، ونهى الزوجات عن الخروج أيضاً فقال: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ أي: لا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة، إلا لأمر ضروري لا غنى عنه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ أي: لا تخرجوهن من بيوتهن إلا إذا فعلن فاحشة الزنى، وقيل: هي البذاءة في اللسان، والاستطالة بها على من هو ساكن معها في ذلك البيت ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ والمعنى: أن هذه الأحكام التي بينها لعباده هي حدوده التي حدّها لهم، لا يحل لهم أن يتجاوزوها إلى غيرها ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بإيرادها مورد الهلاك ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ أي: لعلها إذا بقيت في بيتها أن يؤلف الله بين قلوبهما فيترجعا.

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَحْلَاهُ﴾ أي: قارب انقضاء أجل العدة وشارفن آخرها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: راجعوهن بحسن معاشره ورغبة فيهن من غير قصد إلى مضارة لهن ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أي: اتركوهن حتى تنقضي عدتهن، فيملكن نفوسهن، مع إيفائهن ما هو لهن عليكم من الحقوق، وترك المضارة لهن، أي: فليس لكم عند نهاية العدة إلا الإمساك بمعروف أو التسريح بمعروف، أما الإمساك للمضارة أو التسريح مع الأذى

أرضعن أولادكم بعد ذلك ﴿فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أي : أجور إرضاعهن ﴿وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ مَعْرُوفٌ﴾ هذا خطاب للأزواج والزوجات الذين وقع بينهم الفراق بالطلاق ، أي : تشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر ، وليقبل بعضكم من بعض المعروف والجميل في شأن الولد ، وهذا كما قال الله تعالى : ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ ﴿وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ﴾ أي : في أجر الرضاع فأبى الزوج أن يعطي الأم الأجر الذي تريد ، وأبت الأم أن ترضعه إلا بما تريد من الأجر ﴿فَسَرِّضْهُ لَهَا أُخْرَى﴾ أي : يستأجر مرضعة أخرى ترضع ولده .

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ فيه الأمر لأهل السعة بأن يوسعوا على المرضعات من نسايتهم على قدر سعتهم ﴿وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ أي : كان مضيقاً عليه في الرزق فقيراً ﴿فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أي : مما أعطاه الله من الرزق ، ليس عليه غير ذلك ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ أي : ما أعطاه من الرزق ، فلا يكلف الفقير بأن ينفق ما ليس في وسعه كنفقة الغني ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ أي : بعد ضيق وشدة سعة وغنى .

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ أي : وكثير من أهل القرى عصوا أمر الله ورسله وأعرضوا ﴿فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حاسبها الله بأعمالها التي عملتها في الدنيا ﴿وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نَّكَرًا﴾ أي : عذبنا أهلها عذاباً عظيماً منكرًا في الآخرة ، وفي الدنيا بالجوع والقحط والخسف والمسخ .

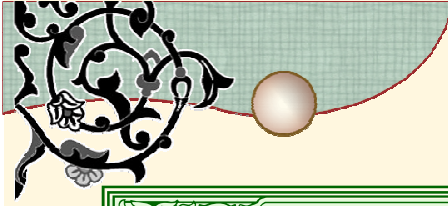
﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ أي : عاقبة ثقل العذاب الذي هو جزاء كفرها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ أي : هلاكاً في الدنيا وعذاباً في الآخرة ، فخسروا أموالهم وأهلهم وأنفسهم . ﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ وهو عذاب النار ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِيبُ﴾ أي : يا أولي العقول الراجحة ، وهم الأمة المحمدية ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أسلموا لله واتبعوا محمداً ﷺ ، فكونوا صادقين في إيمانكم ، ولا تكونوا مثل من عتا من الأمم قبلكم ، فحوسبوا أشد الحسب ، وتعذبوا من جنس ذلك العذاب ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ الذكر : هو القرآن العظيم ، وقيل : هو هنا الرسول نفسه ، ولذلك قال تعالى : ﴿رَسُولًا﴾ أي : أنزل إليكم قرآنًا ، وأرسل إليكم رسولاً بهذا القرآن ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ تبين للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ليخرج الله بالآيات الذين آمنوا وعملوا الصالحات من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية ، ومن ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلْيَضْحَكُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتَّوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ مَعْرُوفٌ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَى ﴿١﴾ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٢﴾ وَكَايْنٍ مِّن قَرِيْبَةٍ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذِّبْنَهَا عَذَابًا نَّكَرًا ﴿٣﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٤﴾ أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٥﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٦﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٧﴾

﴿وَالَّتِي يَلْسَنُ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِّسَائِكُمْ﴾ وهن الكبار اللاتي قد انقطع حيضهن ويحسن منه ﴿إِنْ أَزْنَبْتَ﴾ أي : شككتهم وجهلتم كيف عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْ﴾ لصغرهن وعدم بلوغهن سن الحيض ، أي : فعِدتهن ثلاثة أشهر ﴿وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ أي : إن انتهت عدتهن يتم بوضع الحمل ﴿وَمَن يَنْقُ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرٍ يُسْرًا﴾ قال الضحاك : من يتق الله فيطلق للسنه ، يجعل له من أمره يسراً في الرجعة .

﴿وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾ أي : يعطيه من الأجر في الآخرة أجراً عظيماً وهو الجنة .

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ هذا بيان ما يجب للمطلقات من السكنى ، أي : أسكنوهن في بعض مكان سكناكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي : من سعتكم وطاقتكم ، وهذا في المطلقة الرجعية ، أما التي طلقت الثالثة فإنها لا نفقة لها ولا سكنى ﴿وَلَا تُضَارِزُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ في المسكن أو النفقة ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَلْيَضْحَكُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ ولا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أي :



سُورَةُ التَّحْوِيْمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَتَّخِذُ النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلُغِي مَرْصَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذَا أَسَرَ النِّسَاءُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا بَانَ بَيْنَهُمَا وَظَهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا بَيَّنَّا هَاهُنَا قَالَتْ مَنَ أَبْنَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأُنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ ﴿٣﴾ إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَةً مُؤْمِنَةً قَلْبَتْ يَدَايَ عِيدَاتٍ سَجِدَتْ لِيَسْبِتَ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ آمَنُوا قُلُوبَهُمْ قُلُوبًا وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَّخِذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَأَنْعَذَرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

من التظاهر على النبي ﷺ ﴿وَأَنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ وإن تتعاضدا وتعاونوا في الغيرة عليه منكما وإفشاء سره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: إن الله يتولى نصره، وكذلك جبريل ومن صلح من عباده المؤمنين كأبي بكر وعمر، فلن يعدم ناصرًا ينصره ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ بعد نصر الله له ونصر جبريل وصالح المؤمنين ﴿ظَهِيرٌ﴾ أعوان يظاهرونه، وقيل: كان التظاهر بين عائشة وحفصة في التحكم على النبي ﷺ في الفقة.

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ﴾ أخبر الله تعالى نساء نبيه ﷺ عن قدرته على أنه إن وقع منه الطلاق لهن أبدله خيرا منهن، تخويفا لهن: ﴿مُسْلِمَةً مُؤْمِنَةً﴾ قائمات بفرائض الإسلام مصدقات بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴿قَلْبَتْ يَدَايَ﴾ مطيعات لله ورسوله ﴿يَسْبِتُ﴾ يعني: من الذنوب ﴿عِيدَاتٍ﴾ لله متذلات له ﴿سَجِدَتْ﴾ صائمات ﴿يَسْبِتُ وَأَبْكَارًا﴾ الثيب: هي المرأة التي قد تزوجت ثم طلقها زوجها أو مات عنها، والبكر: هي العذراء التي لم تتزوج بعد.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ أي: وخلق من الأرض مثلهن، يعني: سبعا من الأرضين، وفي الحديث الصحيح المرفوع تأكيد ذلك، وهو ما جاء من قول النبي ﷺ: "من ظلم شيئا من الأرض طوقه من سبع أرضين" ﴿يُنَزِّلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُنَّ﴾ أي: ينزل الأمر من السماوات السبع إلى الأرضين السبع؛ فينزل المطر ويخرج النبات، ويأتي بالليل والنهار، والصيف والشتاء.

سُورَةُ التَّحْوِيْمِ

﴿يَتَّخِذُ النَّبِيُّ لِمَحْرَمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ قيل: كان ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة، كيدا لزينب أن تقول له إذا دخل عليهما: إنا نجد منك ريحا، فحرم العسل على نفسه ﴿تَبْلُغِي مَرْصَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ بأن حرمت على نفسك ما أحله الله لك ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ لما فرط منك، قيل: وكان ذلك ذنبًا من الصغائر، فلذا عاتبه الله عليه.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ أي: شرع لكم تحليل أيمانكم بأداء الكفارة، كما في قوله تعالى: ﴿فَكَفِّرُهُمْ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾ وليس لأحد أن يحرم ما أحل الله، فإن فعل لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، فالتحليل والتحریم هو إلى الله سبحانه وتعالى، لكن إن فعل فقد ذهب بعض الفقهاء إلى أنه إن حرم على نفسه ثوبا أو ملبسا أو طعاما أو شرابا أو شيئا مما أباحه الله فهو بمنزلة اليمين، فإن عاد إلى ما حرمه على نفسه فعليه كفارة يمين، فإن كفر عند ذلك انحلت يمينه، وهذا في كل شيء حتى الزوجة إذا حرمها على نفسه، وقال بعضهم: إن حرم الزوجة، ونوى بالتحريم الطلاق يقع الطلاق، والله أعلم ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: وليكم وناصركم ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بما فيه صلاحكم وفلاحكم، في أفعاله وأقواله.

﴿وَإِذَا أَسَرَ النِّسَاءُ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ هي حفصة كما سبق، والحديث هو تحريم العسل، قال الكلبي: أسر لها أن أباك وأبا عائشة يكونان خليفتي على أمتي من بعدي ﴿فَلَمَّا بَانَ بَيْنَهُمَا﴾ أي: أخبرها بما أفشت من الحديث ﴿قَالَتْ مَنَ أَبْنَاكَ هَذَا﴾ أي: من أخبرك به ﴿قَالَ نَبَأُنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ أي: أخبرني به الله الذي لا تخفى عليه خافية.

﴿إِنْ نُبُوًّا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ الخطاب لعائشة وحفصة، أي: إن تتوبا إلى الله فقد مالت قلوبكما إلى التوبة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ٨

التوبة النصوح الصادقة، وقيل: الخالصة، وهي الندم بالقلب على ما مضى من الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على ألا يعود ﴿تَوْرَهُمْ يَسْعَى بَيْتَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِمْنِهِمْ﴾ أي: أن النور يكون معهم حال مشيهم على الصراط.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ﴾ أي: جاهد الكفار بالحرب ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بإقامة الحدود عليهم، فإنهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود، واستعمل الخشونة مع الطرفين لإقامة البهية.

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ أي: فوقعت منهما الخيانة لهما، قيل: كانت امرأة نوح تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تخبر قومه بأضيافه ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: فلم ينفعهما نوح ووط بسبب كونهما زوجتين لهما شيئاً من النفع، ولا دفعاً من عذاب الله، مع كرامتهما على الله ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ فيها من أهل الكفر والمعاصي.

﴿وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ﴾ أي: إن صولة الكفر لا تضرهم كما لم تضر امرأة فرعون، وقد كانت تحت أكفر الكافرين، وصارت بإيمانها في جنات النعيم ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ أي: ابن لي بيتاً قريباً من رحمتك في درجات المقربين منك ﴿وَبُحِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ أي: من ذاته ومما يصدر عنه من أعمال الشر ﴿وَبُحِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ هم الكفار من القبط.

﴿وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ﴾ جمع الله لها بين كرامة الدنيا والآخرة، واصطفاه على نساء العالمين، مع كونها بين قوم عصاة ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: عن الفواحش ﴿فَفَقَحْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ ذلك أن جبريل نفخ في جيب درعها؛ فحبلت بـعيسى عليه السلام ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا﴾ يعني: شرائعه التي شرعها لعباده، وما خاطبها به الملك، وهو قول جبريل لها: إنما أنا رسول ربك، وما أخبرها به من البشارة بعيسى وكونه رسولا من المقربين ﴿وَكُتِبَ لَهُ﴾ وهي الكتب المنزلة على الأنبياء ﴿وَكُنْتِ مِنَ الْقَانِنِينَ﴾ من القوم المطيعين لربهم، كان أهلها أهل بيت صلاح وطاعة.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ تَوْرَهُمْ يَسْعَىٰ بَيْتَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْتِمْنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَافِعٌ وَأَغْفِرُ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٨ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ ٩ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ١٠ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبُحِّي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبُحِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ١١ وَمَرْيَمُ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ١٢

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفُسُكُمْ﴾ أي: حافظوا عليها بفعل ما أمركم به، وترك ما نهاكم عنه ﴿وَأَهْلِكُمْ﴾ بأمرهم بطاعة الله، وبنهاهم عن معاصيه ﴿نَارًا وَفُودَهَا النَّاسَ وَالْحِجَارَةَ﴾ أي: ناراً عظيمة تتوقد بالناس وبالْحِجَارَةَ كما يتوقد غيرها بالحطب، قال ابن جرير: فعلينا أن نعلم أولادنا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب ﴿عَلَيْهَا مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ﴾ أي: على النار ملائكة يلون أمرها وتعذيب أهلها، غلاظ على أهل النار، شداد عليهم، لا يرحمونهم إذا استرحمهم، إنما خلقوا للعداب ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ أي: لا يخالفونه في أمره ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي: يؤدونه في وقته من غير تراخ، فلا يؤخرونه عنه، وهم عليه قادرون، لا يعجزون عن شيء منه مهما كان.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ﴾ أي: يقال لهم هذا القول عند إدخالهم النار، تأيساً لهم وقطعاً لأطماعهم ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الأعمال في الدنيا.